دولة ليبيا

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

(نقد السادة الصوفية من خلال كتاب/ تلبيس إبليس: لابن الجوزي)

إعداد: صلاح حسن نصر شنيب

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾

صَدَقَ اللهُ العَظِيمُ

سورة يونس الآية (94)

فهرس المحتويات

ر.م	المحتـــــوى	رقم الصفحة
.1	المقدمة.	أ
.2	مدخل عام ((التصوف وتياراته)).	1
.3	الفصل الأول: ترجمة لِحياة ابن الجوزي. اسمه. لقبه مولده، نشأته وفاته.	6
.4	الفصل الثاني: نقد ابن الجوزي لمسالك الصوفية في الاعتقاد والسلوك.	13
.5	المطلب الأول: نقد مسالك المتصوفة وتلبيس إبليس في فن السماع.	17
.6	المطلب الثاني: نقد مسلك المتصوفة وتلبيس إبليس في صحبة الأحداث.	20
.7	المطلب الثالث: نقد مسلك المتصوفة وتلبيس إبليس في باب الطهارة وباب الصلاة والمبلس والمسكن.	24
.8	المطلب الرابع: نقد مسلك المتصوفة وتلبيس إبليس في الخروج عن الأموال.	26
.9	المطلب الخامس: نقد مسلك المتصوفة وتلبيس إبليس في ادعاء التوكل وقطع الأسباب وترك الاحتزاز في الأموال.	30
.10	المطلب السادس: نقد مسلك المتصوفة وتلبيس إبليس في ترك التداوي وترك الجمعة والجماعة بالوحدة والعزالة.	32
.11	المطلب السابع: نقد مسلك المتصوفة وتلبيس إبليس في التخشع ومطأطأة الرأس وترك النكاح.	34
.12	المطلب الثامن: نقد مسلك المتصوفة وتلبيس إبليس في الأسفار والسياحة.	37

.13	المطلب التاسع: نقد مسلك المتصوفة وتلبيس إبليس إذا مات لهم ميت وترك التشاغل بالعلم وزهدهم فيه.	40
.14	المطلب العاشر: نقد مسلك المتصوفة وتلبيس إبليس في الشطح والدعاوي ونقد الملامتية.	45
.15	المطلب الحادي عشر: نقد مسلك المتصوفة وتلبيس إبليس من اندس في الصوفية من أهل الإباحة .	48
.16	المبحث الأول: بعض القصائد الشعرية في ذم الصوفية .	50
.17	المبحث الثاني: مميزات كتاب تلبيس إبليس لابن الجوزي وأهم الملاحظات على هذا الكتاب .	52
.18	المبحث الثالث: منهج ابن الجوزي في التصوف السليم وتقويم مناهج المتصوفة .	55
.19	نتائج البحث (الخاتمة).	58
.20	قائمة المصادر والمراجع.	60

المقدمة:

ظهر التصوف في المجتمع الإسلامي في منتصف القرن الثاني الهجري وأصبح مدرسة لها خصائصها وميزاتها واستقلالها بوضوح في القرن الثالث الهجري وظهرت اتجاهه ثلاث تيارات: معجبٍ .. رافضٍ .. وسطيٍ :أي وسط بين المعجبين والرافضين".

فحينما تبلغ الأمة قمة نضجها يبدأ النقد الذاتي لمشروعها الحضاري وقد كان ذاك في مجال التصوف ومن الصوفية أنفسهم "كما سنوضح ذلك في ثنايا البحث" لكن ما يلفت الانتباه هو ذاك الهجوم الحاد من قبل مجدد عصره العلاّمة ابن الجوزي في كتابه تلبيس إبليس– على بعض تصرفات مدعي التصوف في الاعتقاد والسلوك أي في الأصل والفروع، مع ملاحظة أن ابن الجوزي ليس ضد التصوف الملتزم بالكتاب والسنة، فما الذي حمله على ذلك وخاصةً بعد ما هدأت تلك المعركة بين أهل الظاهر "الفقهاء" والباطن "الصوفية" على يدي حجة الإسلام الغزالي بقولة: الشريعة أن تعبده، والحقيقة أن تشهدهُ.

هذا ما سوف نقوم بالبحث والتقصي عليه بالتفصيل في هذا البحث، ترجمة للعلاّمة ابن الجوزي وأهم مصنفاته، كتابه تلبيس إبليس، وجملة الانتقادات التي وجهها لبعض مدعي التصوف، أهم مميزات الكتاب، أهم الملاحظات عليه وأهم نتائج البحث وبأهم المصادر والمراجع التي توفرت لذيّ وعلى رأسها جميعاً كتاب العلاّمة ابن الجوزي تلبيس إبليس.

- **مشكلة البحث:**

لماذا انتقد ابن الجوزي بعض مدعي التصوف؟، وما هو كتاب تلبيس إبليس؟ وما هي أهم أبوابه؟ وما هي مميزاته وخصائصه؟ وما هي أهم الملاحظات عليه؟ وما هي أهم نتائج هذا البحث؟

- **أهداف البحث:**

لفتُ الأنظار لأهمية النقد الذاتي في حياة الأمة وأهمية ممارسته، وأن خير الأمور دائماً الوسط، "وكذلك جعلناكم أمة وسطاً" فلا إفراط ولا تفريط.

- **المنهج المتبع:**

استخدمت في البحث المنهج الوصفي أو الكيفي، وكذلك المنهج النقدي مستعيناً بالمهج البنيوي الذي يجعل كل جزء من أجزاء البحث يعتمد على الآخر ويضعه في سياق واحد متصل، وكذلك استعنت بالمنهج التاريخي لتوضيح بعض الأفكار والرؤى وتسلسلها تاريخياً والله الموفق.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد . .

تمهيد:

في أن هناك ثلاث تيارات"وجهات نظر" ينظر بها إلى الصوفية من المسلمين:

- تيار المعجبين بالتصوف وطريقته ومؤيدين له.
- تيار المعارضين للتصوف والمهاجمين له.
- تيار وسطي بين المعجبين والمعارضين[1]

وسأتكلم عن هذه التيارات "وجهات النظر" باختصار: حيث أصبح للصوفية وجود متميز منذ وقت مبكر يمكن أن يرجع إلى منتصف القرن الثاني الهجري[2]، وقد زاد هذا الوجود تميزاً واستقلالاً في القرن الثالث الهجري وما بعده حيث بدأ الصوفية يتجمعون حول شيوخهم، وبدأت الكتب والمؤلفات الصوفية في الظهور والانتشار،وأصبح بالإمكان التعرف على مناهج هذه الطائفة وعلومها وأفكارها، وكانت العلوم الإسلامية قد نشأت من قبل وتكاملت مناهجها، واتضحت معالمها على يد الفقهاء والمحدثين والمفسرين وعلماء الكلام وأمثالهم، وكان هؤلاء يلتقون بالصوفية ويناقشونهم، وربما تجاورت حلقة الفقيه مع حلقة الصوفي في المسجد الواحد خاصة بعد أن تحدث الصوفية عن علومهم في المساجد، وكان ذلك قد بدأ بيحيى بن معاذ الرازي "258هـ" وأمثاله وكانت هذه المناقشات واللقاءات وسيلة لتحديد موقف الناس من التصوف وإظهار رأيهم فيه وفي أهله، وتراوحت هذه المواقف بين الإعجاب الشديد بالتصوف والرفض القوي له.. وبين هذين الموقفين المتعارضين تماماً،

---

(1) أنظر: حسن الشافعي وعبد الحميد مذكور – دراسات في التصوف الإسلامي، دار الهانى 2007م ص 214.

(2) المصدر نفسه، ص214.

وجدت بعض الآراء التي حاول أصحابها أن يتخذوا موقفا وسطا بين الفريقين، وتلخص ذلك فيما يلي:

- كان للتصوف أنصاره والمعجبون به، ومن الطبيعي أن يكون في مقدمة هؤلاء الأنصار الصوفية أنفسهم، لأن انتسابهم إلى التصوف وتثبيته لدعائمه، وتوضيحه لأسسه خير شاهد على أنهم يجدون فيه الفضيلة والكمال مالا يجدونه في سواه، ولأن تمسكهم به على الرغم مما نالهم من الأذى أحيانا خير دليل على اقتناعهم به وولائهم له. وحديث الصوفية ورجاله حديث مملوء بالإعجاب والفخر، فالتصوف عندهم هو طريق موصل إلى ولاية الله تعالى، وهو مدرسة لتخريج الأولياء[1]

ومن بين هؤلاء السهروردي صاحب عوارف المعارف"632هـ"والقشيري، حيث وصف الصوفية في مقدمة رسالته القشيرية بأنهم صفوة الأولياء، وأفضل الخلق بعد الأنبياء ولذلك جعل الله قلوبهم معادن أسراره، واختصهم من بين الأمة بطوالع أنواره[2] ولعل أشهرهم وأنبغهم وأبعدهم أثرا في الفكر الإسلامي عامة حجة الإسلام أبو حامد الغزالي"505-1111م"[3] وفخر الدين الرازي.."606هـ"صاحب كتاب الأربعين في علم الكلام واعتقادات فرق المسلمين والمشركين[4] ومن أمثلة هذا التأثير بين الفقهاء نجد قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب السبكي"771هـ" يعيب طائفة من الفقهاء بأنها تهزأ بأهل التصوف وتعيب عليهم بعض الأقوال والأحوال، ويرى أن الواجب تسليم أحوال القوم لهم.

---

(1) حسن الشافعي وعبد الحميد مذكور مصدر سابق ص214،215.

(2) المصدر نفسه ص216.

(3) المصدر نفسه ص 219.216.

(4) أنظر المصدر السابق ص220.219 ، وانظر: تاج الدين السبكي الشافعي معيد النعم ومبيد النقم تقديم عبد الحميد الهنداوي تحقيق محمد فتحي الناري دار العلياء ط1 2008م. ص103.102.

وحمل كلامهم على محمل حسن، كلما أمكن ذلك، ثم يقول: إننا جربنا فلم نجد فقيهاً ينكر على الصوفية إلا ويهلكه الله! وتكون عاقبته وخيمة، وذلك لأنهم أهل الله تعالى وخاصته، وأكثر من يقع فيهم لا يفلح.[1]

وهكذا نجد من بين علماء الكلام ورجال الفقه من يتعاطف مع الصوفية ويثني على علومهم ويدافع عنهم ضد من يهاجمهم.[2]

– غير أن الساحة لم تقتصر على هؤلاء الذين يعجبون بالتصوف أو يدافعون عنه بل يشاركهم فيها منذ بدايات نشأة التصوف من يهاجمون التصوف ويشنون عليه الحملات ويكيلون لأهله الاتهامات، ولكن أشد هؤلاء وأطولهم نفساً في الهجوم على الصوفية أبو الفرج ابن الجوزي"597هـ" الذي ألف كتاباً أسماه "تلبيس إبليس"حاول أن يلفت فيه النظر إلى مكائد إبليس ومصائده، التي يوقع بها الناس في الضلال عن دينهم، وقد تتبع فيه مواطن الانحرافات والأخطاء لدى الملاحدة ومنكري الأديان، والقائلين بالتنوية ومنكري الحقائق من السوفسطائية وتحدث كذلك عن أهل الكتاب وطوائفهم، والفلاسفة ومذاهبهم، وعلماء الكلام وفرقهم كما تحدث عن القراء والفقهاء والمحدثين والمفسرين، والوعاظ، وجاء ذلك كله بعد المقدمة في قريب من ثلث الكتاب، ثم خصص الثلثين الباقيين وهما أكثر من مائتي صفحة للهجوم الحاد على الصوفية[3] وقد اتسم هجومه بالعنف والقسوة كما اتسم بالإحاطة عليها مظهراً مخالفتها لقواعد اللغة أحياناً، ومخالفتها لصريح القرآن الكريم وأسباب النزول أحياناً أخرى ،مبيناً أن الكثير منها يتبع منهج الباطنية في صرف الألفاظ عن غيرها، وإكراه الآيات على النطق بما يرد على خواطرهم من الأفكار، وقد استعان– في تلك الحملة– بكل من هاجم الصوفية من قبله وبخاصة أبو الوفاء بن عقيل "513هـ" الذي ينقل عنه صفحات

---

[1] حسن الشافعي وعبد الحميد مذكور. دراسات في التصوف الإسلامي ص220.

[2] حسن الشافعي وعبد الحميد مذكور. دراسات في التصوف الإسلامي. ص 220.

[3] حسن الشافعي وعبد الحميد مذكور. دراسات في التصوف الإسلامي. ص220.

كثيرة يهاجم فيها الصوفية[1] ويمكن القول بأن بعض ما قاله ابن الجوزي في نقد الصوفية كان له ما يبرره في سلوك بعض الصوفية وآرائهم وخاصة لدى من وقعوا في المغالاة منهم وقد كان هؤلاء من دخلوا إلى الصحراء بغير زادٍ وقعدوا عن العمل بدعوى التوكل أو ظنوا أن التصوف هو لبس المرقعات وحضور مجالس السماع والإنشاد التي تقال فيها قصائد الغزل، وذكر الحكايات عن كرامات الشيوخ، وإطلاق العبارات التي توهم أن أصحابها من أهل الكشف والشهود والولاية، لقد كان ابن الجوزي على حق في نقده لتلك الأمور، وأمثالها مما يجري مجراها، ولكن حملته القاسية على الصوفية قد أوقعته في التحامل أحياناً[2] أخرى، ومن دلائل ذلك اتهامه للصوفية بترك العلم والتكاسل عن طلبه، وقد ذكر ابن الجوزي نفسه من أقوال شيوخ التصوف ما يخص هذا الاتهام بالنسبة لبعض الصوفية على الأقل، وهو يروي قول سهل التستري لرجل جاء إليه يحمل دواة حبر: أكتب إن استطعت أن تلقى الله وبيدك المحبرة والكتاب فافعل، ثم قال مرة أخرى: ما من طريق إلى الله أفضل من العلم فإن عدلت عن طريق العلن خطوة تهت في الظلام أربعين صباحاً[3] ومن مظاهر تحامله- كذلك[4] أنه أخذ على الصوفية دعوتهم إلى الجوع وتقليل الطعام، ومن الحق أب بعض الصوفية يقولون بذلك ولكن فريقاً منهم رفض هذه الدعوة وردّ على أصحابها ورأى أن الأولى هو الاعتدال في الطعام دون إسراف أو حرمان منه[5].

- رأي ابن جوزي في التصوف.

وعلى الرغم من تحامل ابن الجوزي على الصوفية يمكن أن نستخلص من كلامه عنهم ما يدل على أنه لا ينكر طريق التصوف في ذاته وإنما ينكر ما وقع فيه من أخطـــاءٍ ويدل

---

[1] حسن الشافعي وعبدالحميد مذكور. دراسات في التصوف الإسلامي، ص 221.

[2] المصدر نفسه ص 221.

[3] أبو الفرج بن الجوزي: تلبيس إبليس، ط، 319.

[4] حسن الشافعي وعبدالحميد مذكور. دراسات في التصوف الإسلامي، ص 222.

[5] المصدر نفسه، ص 223.

على ذلك قوله في أول حديثه عن التصوف إن هذا الاسم ظهر قبل سنة مائتين وأن أوائل الصوفية عبروا عن التصوف بعبارات كثيرة حاصلها أن التصوف هو رياضة النفس ومجاهدة الطبع برده عن الأخلاق السيئة وجعله على الأخلاق الجميلة من الزهد.

والحلم والصبر والإخلاص والصدق إلى غير ذلك من الخصال الجميلة التي تكسب المدائح في الدنيا والثواب في الآخرة،ونقل من أقوال الصوفية ما يدل على هذه المعاني وعلق عليها بقوله: وعلى هذا كان أوائل القوم[1] وربما كان آية هذا هو الذي جعله يخصص كتابا كبيرا من كتبه هو" صفة الصفوة" الذي يقع في أربعة أجزاء، وفيه يترجم لصوفية وينكر أقوالهم ويحكي أحوالهم على نحو ما فعل الصوفية في كتب طبقات الصوفية والنساك والأولياء، وهناك خصوم للتصوف لم يكونوا من الفقهاء أو المحدثين فقط بل كان من بينهم كذلك- بعض علماء الكلام وبخاصة من متكلمي المعتزلة، كما كان بينهم بعض الفلاسفة. كابن باجة وابن رشد بسبب الطابع العقلي الغالب على فلسفتهما[2].

وإذا كان الفريق الأول يتعصب للتصوف وينتصر له، والفريق الثاني يهاجم التصوف وينقذه فقد وجد اتجاه ثالث حاول أصحابه أن يتخذوا موقفا وسطا بين هؤلاء وهؤلاء،

وقد رأى أصحاب هذا الموقف أن القبول المطلق للتصوف أو الرفض الكامل له أمره لا يخلو من تعصب وابتعاد عن الحقيقة، وكان من أبرز أصحاب هذا الاتجاه المفكر السلفي ابن تيمية"728هـ" وتلميذه ابن القيم الجوزية"751"[3]﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾[4].

---

[1] ابن الجوزي – تلبيس إبليس ص 164- 165.

[2] حسن الشافعي وعبد الحميد مذكور دارسات في التصوف الإسلامي ص 224.

[3] المصدر نفسه ص225.

[4] سورة البقرة آية143.

الفصل الأول

ترجمة لحياة ابن الجوزي

حياته– اسمه – لقبه – مولده – نشأته –وفاته

حياته- اسمه - لقبه - مولده - نشأته -وفاته

ترجمة: أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ""510-597هـ.1116.1201م"

عبد الرحمن بن علي بن محمد علي بن عبيدالله بن حمادي بن أحمد بن محمد بن جعفر القرشي التيمي، البكري- البغدادي- الحنبلي، المعروف بابن الجوزي" جمال الدين أبو الفرج" محدث، حافظ، مفسر فقيه، واعظ، أديب، مؤرخ، شارك في أنواع أخرى من العلوم، ولد ببغداد، سنة510هـ وقيل 508هـ، وقيل509هـ، والراجح التاريخ الأول والله أعلم، وتوفي ببغداد ودفن،وقد سئل ابن الجوزي عدد تصانيفه، فقال:زيادة عن ثلاثمائة وأربعين مصنفا منها ما هو عشرون مجلدا وأقل، ومن مؤلفاته الكثيرة المغني في علوم القرآن تذكرة الأريب في اللغة،جامع المسانيد في سبع مجلدات المنتظم في تاريخ الأمم، بستان الواعظين ورياض السامعين، ترياق الذنوب ودواء العيوب، مثيرا لغرام الساكن في فضل البقاع والأماكن، مختصر قرة العيون النواظر في الوجوه والنظائر، المنتخب في النوب "وهو شروح على آيات مختارة من القرآن"تدبير الأشياخ، المدهش في المحاضرات، كتاب الموضوعات،الوفاء بفضائل النبي المصطفي، مولد النبيﷺ، الشفا المختصر بفضائل المصطفى الطب الروحاني، جامع المسانيد والألقاب، تقويم اللسان، من علم الناسخ والمنسوخ، ذم الهوى، نكث المجالس في الواعظ، تبصرة الأنبياء والرجال الصالحين...إلخ[1].

[1] عمر رضا كحالة. معجم المؤلفين"تراجم مصنفي الكتب العربية". مؤسسة الرسالة ج2ط1، 1993. بيروت 100.101.

بسم الله الرحمن الرحيم

تلبيس إبليس:

لابن الجوزي: 510هـ 597هـ. 1116م1201م"

إن الحمد لله تعالى، نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا إنه من يهد الله فلا مضل له، وأشهد أن لا إله الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله، والصلاة والسلام على أفضل مبعوث وأكرم مخلوق سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

وبعد: فعداوة الشيطان للإنسان عداوة قديمة منذ أول لحظة خلق الله سبحانه وتعالى، فيها آدم عليه السلام، فقال إبليس لعنه الله، ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾[1] فتوعد اللعين بالتزيين في الدنيا وإيثارها على الآخرة، وبالإغواء والصد عن الصراط المستقيم، فخلى الله بينه وبين هذه الطائفة التي انقادت له، فقال له سبحانه: ﴿وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ وَعِدۡهُمۡۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾[2] فأمره الله سبحانه وتعالى أن يفعل كل ما يقدر عليه من إضلالهم وأن يشاركهم في أموالهم وأولادهم وأن يعدهم بالوعود المزخرفة التي لا حقيقة لها ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾[3] فنصب عليه لعنة الله شباكه المتنوعة والمختلفة التي اصطاد بها بني الإنسان فأغواهم وأضلهم عن طريق الرحمن بل وزين لهم الباطل وحلاه

---

[1] سورة الحجر آية 39.

[2] سورة الإسراء آية 64.

[3] سورة الإسراء آية 64.

وكثره لهم الحق وعن طريقه أعماه ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[1] فجاء، كتاب "تلبيس إبليس" للإمام الجليل.

"ابن الجوزي" الذي كان من أبرز الكتب التي نبهت الإنسان إلى الأعمال التي زاحمهُ فيها الشيطان ولبس عليه فيها دون أن يشعر ودون أن يدري، فبين الإمام ابن الجوزي طرق غوايته ووضح سبله وبين ما تشعبت إليه الأهواء بالناس فأصبحوا بسببها في كل وادٍ يهيمون، وفرقوا كل ممزق وهم لا يشعرون، وقد أكثر المؤلف رحمه الله تعالى من تحذيراته لأبن آدم من كيد الشيطان وفتنته، وكشف عما يسره عن ابن آدم من سيئات كسبها حلة الحسنات، وقد قسم ابن الجوزي رحمه الله تعالى كتابه هذا إلى ثلاثة عشر باباً بيَّن في مجموعها تلبيس الشيطان على ابن آدم متى يتضح له كيف ينصب إبليس شركه لغوايته وإهلاكه قال ابن الجوزي "وقد وضعت هذا الكتاب محذراً من فتنة، ومخوفاً من محنة وكاشفاً عن مستوره وفاضحاً له خفيَّ غروره، والله المعين بجوده كل صادق في مقصودة وقد قسمته ثلاثة عشر باباً ينكشف به بمجموعها تلبيسه، ويتبين للفطن بفهمها تدليسه انتهض عزمه للعمل بها ضجَّ منه إبليسه، والله موفقي فيما قصدت وملهمي للصواب فيما أردتُ".

الباب الأول: في الأمر بلزوم السنة والجماعة.

الباب الثاني: في ذم البدع والمبتدعين.

الباب الثالث: في التحذير من فتن إبليس ومكايده.

الباب الرابع: في معنى التلبيس والغرور.

---

[1] سورة سبأ آية 20 سنعتمد في بحث هذا على أبوالفرج بن الجوزي: تلبيس دار البيان العربي: تحقيق محمد محمد تامر ط 2004م القاهرة.

الباب الخامس: في ذكر تلبيسه في العقائد.

الباب السادس: في ذكر تلبيسه على العلماء في فنون العلم.

الباب السابع: في ذكر تلبيسه على الولاة والسلاطين.

الباب الثامن: في ذكر تلبيسه على العباد في فنون العبادات.

الباب التاسع: في ذكر تلبيسه على الزهاد.

الباب العاشر: في ذكر تلبيسه على الصوفية.

الباب الحادي عشر: في ذكر تلبيسه على المتدينين بما يسبه الكرامات.

الباب الثاني عشر: في ذكر تلبيسه على العوام.

الباب الثالث عشر: في ذكر تلبيسه على الكل بتطويل الأمل[1].

ولكن ما نحاول تحليله والاستفادة منه هو.

الباب العاشر: في ذكر تلبيسه على الصوفية:

سبب إفراد باباً في تلبيس إبليس عليهم، ذلك أن الصوفية من جملة الزهاد، يذكر الإمام سبب إفرادهم إياهم، "أن الصوفية انفردوا عن الزهاد بصفات وأصول وتوسموا بسمات"[2] يذكر الإمام أن التصوف طريقة كان ابتدائها الزهد الكلي، ذكر سبب اجتذاب الناس إليهم وهو ترخص المنتسبون إليهم بالسماع والرقص فمال إليهم طلاب الآخرة من العوام لما يظهرونه من الزهد ومال إليهم طلاب الدنيا لما يرون عندهم من الراحة واللعب.[3]

---

[1] ابن الجوزي "تلبيس إبليس" ص 87.

[2] المصدر نفسه ص 159.

[3] المصدر نفسه ص 159.

ذكر ظهور اسم العابد والزاهد ومصطلح الصوفية:

كانت النسبة في زمن الرسول ﷺ، إلى الإيمان والإسلام فيقال: مسلم ومؤمن، ثم حدث اسم زاهد وعابد، ثم نشأ أقوام تعلقوا بالزهد والتعبد وانقطعوا إلى العبادة واتخذوا في ذلك طريقة تفردوا بها، وأخلاقاً تخلقوا بها ورأوا أن أول من انفرد به بخدمة الله تعالى عند بيته الحرام رجل يقال له: "صوفة" واسمه الغوث بن مرفا انتسبوا إليه لمشابهتهم إياه في الانقطاع إلى الله سبحانه وتعالى فسموا بصوفية[1] وقال ابن الجوزي: وقد ذهب قوم إلى أن التصوف منسوب إلى أهل الصفة، وإنما ذهبوا إلى هذا لأنهم رأول أهل الصفة، على ما ذكرنا من صفة صوفة في الانقطاع إلى الله تعالى عز وجل وملازمة الفقر، فإن أهل الصفة كانوا فقراء يقدمون على رسول الله ﷺ ومالهم أهل ولا مال فبنيت لهم صفة في مسجد رسول الله ﷺ وقيل: أهل الصفة[2] ويضيف ابن الجوزي: وهؤلاء القوم، إنما قعدوا في المسجد ضرورة وإنما أكلوا من الصدقة ضرورة، فلما فتح الله على المسلمين استغنوا عنه وخرجوا،[3] ونسبه الصوفي إلى أهل الصفة غلط لأنه لو كان كذلك لقيل: صفيٌّ، وقد ذهب قوم إلى أنه من الصّوفانة وهي بقلة رعْناء قصيرة، فنسبوا إليها لاجتزائهم بنبات الصحراء وهذا أيضاً غلط لأنه لو نسبوا إليها لقيل: صوفاني، وقال آخرون، هو منسوب إلى صوفة القفا، وهي الشعرات النابتة في مؤخرة: كأن الصوفي عُطِف به إلى الحق وصرفهُ عن الخلق، وقال آخرون: بل هو منسوب إلى الصوف وهذا يحتمل، والصحيح الأول،[4] وهذا الاسم ظهر للقوم بل سنة مائتين ولما أظهره أوائلهم تكلموا فيه وعبروا عن صفته، بعبارات كثيرة وحاصلها أن التصوف عندهم رياضة النفس ومجاهدة الطبع برده عن الأخلاق الرذيلة وحمله على

---

[1] ابن الجوزي. تلبيس إبليس ص159.

[2] المصدر نفسه ص 160.

[3] المصدر نفسه ص 160.

[4] ابن الجوزي تلبيس إبليس ص 160.

الأخلاق الجميلة من الزهد والحلم والصبر والإخلاص والصدق إلى غير ذلك من الخصال الحسنة التي تكسب المدائح في الدنيا والثواب في الآخرة[1].

[1] المصدر نفسه ص 161.

الفصل الثاني

نقد ابن الجوزي لمسالك الصوفية في الاعتقاد والسلوك

﴿نقد ابن الجوزي لمسالك الصوفية في الاعتقاد والسلوك﴾

- نقد ابن الجوزي لمسالك الصوفية:

وعلى هذا كان أوائل القوم فلبّس إبليس عليهم في أشياء ثم لبس على من بعدهم من تابعهم فكلما مضى قرن زاد طمعه في القرن الثاني فزاد تلبيسه عليهم إلى أن تمكن من المتأخرين غاية التمكن.[1] وكان أصل تلبيسه عليهم في أشياء ثم أنه صدهم عن العلم وأراهم أن المقصود الفعل فلما أطفأ مصباح العلم عندهم تخبطوا في الظلمات، فمنهم من أراه أن المقصود من ذلك ترك الدنيا في الجملة فرفضوا ما يصلح أبدانهم، وشبهوا المال بالعقارب ونسوا أنه خلق للمصالح وبالغوا في الحمل على النفوس حتى أنه كان فيهم من لا يضطجع، وهؤلاء كانت مقاصدهم حسنة غير أنهم على غير الجادة، وفيهم من كان لقلة علمه يعمل بما يقع إليه من الأحاديث الموضوعة وهو لا يدري[2] ثم جاء أقوام فتكلموا لهم في الجوع والفقر والوسواس والخطرات وصنفوا في ذلك، مثل الحارث المحاسبي، وجاء آخرون فهذبوا مذهب التصوف وأفردوه بصفات ميزوه بها من الاختصاص بالمرقعة والسماع والوجد والرقص والتصفيق وتميزوا بزيادة النظافة والطهارة،ثم مازال الأمر ينمى والأشياخ يضعون لهم أوضاعا ويتكلمون بواقعاتهم، ويتفق بعدهم عن العلماء لا بل رؤيتهم ما هم فيه أوفى العلوم حتى سموه بالعلم الباطن وجعلوا علم الشريعة العلم الظاهر، ومنهم من خرج به الجوع إلى الخيالات الفاسدة فأدعى عشق الحق والهيمان فيه فكأنهم تخايلوا شخصا مستحسن الصورة فهاموا به، وهؤلاء بين الكفر والبدعة ثم تشعبت بأقوام منهم الطرق، ففسدت عقائدهم،فمن هؤلاء من قال بالحلول ومنهم من قال بالاتحاد! ومازال إبليس يخبطهم يفنون البدع حتى جعلوا لأنفسهم سننا وجاء أبو عبد الرحمن السُّلمي فصنف لهم "كتاب السنن" وجمع لهم حقائق التفسير فذكر عنهم فيه العجب في تفسيرهم القرآن بما يقع لهم من غير

---

[1] المصر نفسه ص 161.

[2] المصدر نفسه والصفحة نفسها.

إسناد ذلك إلى أصل العلم، وإنما حملوه على مذاهبهم والعجب من ورعهم في الطعام وانبساطهم في القرآن.[1]

يضيف ابن الجوزي: وصنف لهم أبو نصر السراج كتاباً سماه "لمع الصوفية" ذكر فيه من الاعتقاد القبيح والكلام المرذول ..، وصنف لهم أبو طالب المكي:

"قوت القلوب" فذكر فيه الأحاديث الباطلة وما لا يستند فيه إلى أصل من صلوات الأيام والليالي، وغير ذلك من الموضوع وذكر فيه الموضوع وذكر فيه الاعتقاد الفاسد، وردّد فيه- قول بعض المكاشفين- وهذا كلام فارغ، وذكر فيه عن بعض الصوفية أن الله عز وجل يتجلّى في الدنيا لأوليائه[2]، وجاء أبو نعيم الأصبهاني فصنف لهم كتاب "الحليّة" وذكر في حدود التصوف أشياء منكرة قبيحة ولم يستح أن يذكر في الصوفية أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً وسادات الصحابة ﷺ فذكر عنهم فيه العجب، وذكر منهم شريحاً القاضي والحسن البصري وسفيان الثوري وأحمد بن حنبل، وكذلك ذكر السلمي في "طبقات الصوفية" الفضيل وإبراهيم بن أدهم ومعروف الكرخي وجعلهم من الصوفية بأن أشار إلى أنهم من الزهاد،[3] وصنف عبدالكريم بن هوزان القشيري كتاب "الرسالة" فذكر فيها العجائب من الكلام في الفناء والبقاء والقبض والبسط والوقت والحال والوجد والوجود والجمع والتفرقة والصحو والسكر والذوق والشرب والمحو والإثبات والتجلي والمحاضرة والمكاشفة واللوائح والطوالع واللوامع والتكوين والتمكين والشريعة والحقيقة إلى غير ذلك من التخليط الذي ليس بشيء وتفسيره أعجب منه! وجاء محمد بن طاهر المقديسي فصنف لهم "صفوة الصفوة" فذكر فيه أشياء يستحي العاقل من ذكرها،[4] وجاء أبو حامد الغزالي فصنف لهم كتاب الإحياء على طريقة القوم وملأه بالأحاديث الباطلة وهو لا يعلم ببطلانها، وتكلم في علم المكاشفة، وخرج عن

---

[1] المصدر نفسه ص 162.

[2] المصدر نفسه والصفحة نفسها.

[3] المصدر نفسه ص 162.

[4] المصدر نفسه والصفحة نفسها.

قانون الفقه، وقال: إن المراد بالكواكب والشمس والقمر اللواتي راهن إبراهيم صلوات الله عليه أنوار هي حجب الله عز وجل، ولم يرد هذه المعروفات، وهذا من جنس كلام الباطنية، وقال في كتابه" المفصح بالأحوال" إن الصوفية في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم وأصوات ويقتبسون منهم فوائد، ثم يرتقي الحال من مشاهدة الصورة إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق!!.

ويذكر المؤلف سبب تصنيف هؤلاء، العلماء مع قلة علمهم بالسنن والإسلام والآثار لأنه قد ثبت في النفوس مدح الزهد، وما رأوا حالة أحسن هؤلاء القوم في الصورة ولا كلاما أرق من كلامهم.[1]

ويرى ابن الجوزي أن هذه التصانيف لا تستند إلى أصل وإنما هي واقعات تلقفها بعضهم عن بعض ودونوها وقد سموه بالعلم الباطن[2] ثم يورد كلاما للإمام أحمد بن حنبل، وقد سئل عن الوساوس والخطرات، فقال: ما تكلم فيها الصحابة ولا التابعون.[3] ثم يفرد فصلا بعنوان أوائل الصوفية يقرون بأن التعويل على الكتاب والسنة:

ثم يورد عدة شواهد وأقوال من الصوفية الملتزمين بالكتاب والسنة نورد مثالا على ذلك:بإسناد عن جعفر الخلدي يقول: قال: أبو سليمان الداراني قال ربما تقع في نفسي النكتة من نكت القوم أياما فلا أقبل منه إلا بشاهدين عدلين الكتاب والسنة.[4]

---

(1) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(2) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(3) المصدر نفسه ص 163.

(4) المصدر نفسه ص163.

المطلب الأول

نقد مسلك المتصوفة وتلبيس إبليس في فن السماع

نقد مسلك الصوفية في فن السماع وتلبيس إبليس فيه

ويفرد ابن الجوزي فصلاً: عن ذكر تلبيس إبليس في السماع وغيره ينتقد فيه شطحات الصوفية وخاصة القائلين بالوحدة والحدة والحلول: وكل ما لا يليق بذات الله تعالى وتنزيه سبحانه[1] وما لا يليق مع عظمة وبساطة العقيدة الإسلامية يقول ابن الجوزي، قال السراج: وبلغني أن الحسين النوري شهد عليه غلام الخليل أنه سمعه يقول أعشق الله عز وجل وهو يعشقني، فقال النوري: سمعت الله يقول ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[2] وليس العشق بأكثر من المحبة قال القاضي أبو علي: وقد ذهبت الحالولية إلى أن الله عز وجل يعشق.[3]

قال ابن الجوزي- في هذه المسألة- وهذا جهل من ثلاث أوجه: أحدهما: من حيث الاسم فإن العشق عند أهل اللغة لا يكون إلا لما ينكح.

والثاني: أن صفات الله عز وجل منقولة فهو.. يحب ولا يقال يعشق كما يقال يعلم ولا يقال يعرف.

والثالث: من أين له أن الله تعالى يحبه فهذه دعوى بلا دليل وقد قال النبي ﷺ من قال إني في الجنة فهو في النار[4]".

ويفرد المؤلف- رحمه الله- باباً طويلاً: في ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في السماع والرقص والوجد، ثم يفرد- باباً في رأي الصوفية في الغناء- فقال: وقد تكلم الناي في الغناء فأطالوا، فمنهم من حرمه، ومنهم من أباحه من غير كراهية، ومنهم منْ كرههُ من الإباحة[5] ثم فصّل الأمر في الإباحة والتحريم،[6] ثم ذكر المؤلف رحمه الله- باباً- في

---

(1) المصدر نفسه ص 166.167.

(2) سورة المائدة آية 54.

(3) المصدر نفسه ص 167.

(4) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(5) المصدر نفسه ص 218.217.

(6) المصدر نفسه ص 220.218.

تلبيس إبليس على الصوفية في الوجد،[1] فقال- رحمه الله -: هذه الطائفة إذا سمعت الغناء تواجدت، وصفقت وصَاحَتْ، ومزقت الثياب، وقد لبس عليهم إبليس في ذلك وبالغ، فذكر عدة روايات فيها الوجد فأنكرها وقال: واعلم وفقك الله أن قلوب الصحابة كانت أصفى القلوب، وما كانوا يزيدون عند الوجد على البكاء والخشوع، فجرى من بعض غرائبهم نحو ما أنكرناه، فبالغ رسول الله ﷺ في الإنكار عليه،[2] ثم يورد جملة من الأحاديث يثبت فيها صِحتَّها منها، عن أنس قال: وعظ رسول الله ﷺ يوماً فإذا رجلٌ قد صعق، فقال النبي ﷺ "من ذا الملبس علينا ديننا؟ إن كان صادقاً فقد شهر نفسه، وإن كان كاذباً فمحقه الله"[3].

---

[1] المصدر نفسه ص 242.

[2] المصدر نفسه ص 146.

[3] المصدر نفسه ص 262.

المطلب الثاني

نقد مسالك الصوفية وتلبيس إبليس في صحبة الأحداث

نقد مسالك الصوفية وتلبيس إبليس في صحبة الأحداث

ثم يفرد ابن الجوزي بابا في ذكر تلبيس إبليس على كثير من الصوفية في صحبة الأحداث على سبعة أقسام.

القسم الأول: أخبث القوم، وهم ناس تشبهوا بالصوفية ويقولون بالحلول،.. ومنهم من قال:هو – أي الله–حال في المتحسنات!.

القسم الثاني: قوم يتشبهون بالصوفية في ملبسهم،ويقصدون الفسق .

القسم الثالث: قوم يستحبون النظر إلى المستحسن .

القسم الرابع: قوم يقولون: نحن لا ننظر نظر شهوة وإنما ننظر نظر اعتبار، فلا يضرنا النظر وهذا محال منهم، فإن الطباع تتساوى، فمن ادعى تنزه نفسه عن أبناء جنسه في الطبع ادعى المحال.[1]

القسم الخامس: قوم صحبوا المردان ومنعوا أنفسهم من الفواحش، يعتقدون ذلك مجاهدة، وما يعلمون أن نفس صحبتهم والنظر إليهم بشهوة معصية وهذه من خلال الصوفية المذمومات، وقد كان قدماؤهم على غير هذا[2].

القسم السادس: قوم لم يقصدوا صحبة المردان، وإنما يتوب الصبي ويتزهد ويصحبهم على طريق الإرادة فلّبس إبليس عليهم.[3]

القسم السابع: قوم علموا أن صحبة المردان والنظر إلهم لا يجوز غير أنهم لم يصبروا على ذلك[4] ويورد رحمه الله تعالى في فائدة العلم– أدلة قرآنية ومن أحاديث الرسول ﷺ ما

---

[1] المصدر نفسه ص 262.

[2] المصدر نفسه ص 264.

[3] المصدر نفسه ص268.

[4] المصدر نفسه والصفحة نفسها .

يقمع به شهوة المعصية، قال رحمه الله: وكل من فاته العلم تخبط، فإن حل له وفاته العمل به كان أشد تخبطاً، ومن استعمل أدب الشرع في قوله عز وجل ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ ﴾[1] سلم في البداية بما صعب أمره في النهاية وقد ورد الشرع بالنهي عن مجالسة المردان وأوصى العلماء بذلك.[2]

قال ابن الجوزي بعد ما أسند الكلام: قد سئل أبو عبدالله بن حفيف عن معنى هذه الأبيات:

سبحان من أظّرنا سوته

سرّسنا لاهوته الثاقب

ثم بدا في خلقه ظاهراً في

صورة الآكل والشارب

حتى لقد عاينه خلقُهُ

كلحظة الحاجب بالحاجب

فقال الشيخ: على قائله لعنة الله، قال عيسى بن فورك، هذا شعر الحسين ابن منصور قال: إن كان هذا اعتقاده فهو كافر إلا أنه ربما يكون منقولاً عليه[3].

وقال ابن الجوزي: اتفق علماء العصر على إباحة دم الحلاج. فأول من قال: أنه حلال الدم أبو عمر القاضي ووافقه العلماء، وإنما سكت عنه أبو العباسي بن سريج قال: لا أدري ما يقول، ولإجماع دليل معصوم من الخطأ[4]. ثم أفرد المؤلف باباً بعنوان: ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في الطهارة: فقال: قد ذكرنا تلبيسه على العباد في الطهارة إلا أنه قد

---

[1] سورة النور آية 20.

[2] ابن الجوزي تلبيس إبليس- ص 269.

[3] المصدر نفسه ص 168.

[4] المصدر نفسه ص 168.

زاد في حق الصوفية فقوى وساوسهم في استعمال الماء الكثير حتى بلغني أن ابن عقيل دخل رباطاً فتوضأ فضحكوا لقلة استعماله الماء، وما علموا أن ما أسبغ الوضوء برطل من الماء كفاه.[1]

ثم يذكر ابن الجوزي باباً في تلبيس إبليس عليهم في الصلاة، وفي تظهر شخصية ابن الجوزي كعالم لغة ومحدث وفقيه من الطراز الأول: فقال: وقد ذكرنا تلبيسه على العباد في الصلاة وهو بذلك يلبس على الصوفية ويزيد، وقد ذكر محمد بن الطاهر المقدسي أن من سنتهن التي ينفردون بها وينتسبون إليها، صلاة ركعتين بعد لبس المرقعة والتوبة، وأحتج عليه بحديث ثمامة بن أثال "أن النبي ﷺ أمرهُ حين أسلم أن يغتسل" "قال ابن الجوزي في لهجة لا تخلوا من قسوة: وما أقبح بالجاهل إذا تعاطى ما ليس من شغله فإن ثمامة كان كافراً فأسلم وإن أسلم الكافر وجب عليه الغسل في مذهب جماعة من الفقهاء منهم أحمد بن حنبل، وأما صلاة ركعتين فما أمره بها أحد من العلماء لمن أسلم، وليس في حديث ثمامة ذكر صلاة فيقاس عليه، وهل هذا إلا إبتداع في الواقع سموه ستة، ثم من أقبح الأشياء قولهُ أن الصوفية ينفردون بسنن؛ لأنها إن كانت منسوبة إلى الشرع فالمسلمون كلهم فيها سواء، والفقهاء أعرف بها، فما وجه انفراد الصوفية بها وإن كانت بآرائهم فإنما انفردوا بها لأنهم اخترعوها؟![2].

---

[1] المصدر نفسه ص 170.

[2] ابن الجوزي تلبيس إبليس ص 171.

المطلب الثالث

نقد مسلك المتصوفة وتلبيس إبليس في باب الطهارة وباب الصلاة والملبس والمسكن

نقد مسلك المتصوفة وتلبيس إبليس في باب الطهارة وباب الصلاة والملبس والمسكن

ثم أفرد ابن الجوزي باباً في ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في المساكن.[1]

قال ابن الجوزي: أما بناء الأربطة فإن قوماً من المتعبدين الماضين اتخذوها للانفراد بالتعبد وهؤلاء إذا صح قصدهم فهم على الخطأ من ستة أوجه:

أحدها: أنهم ابتدعوا هذا البناء، وإنما بنيان أهل الإسلام المساجد.

والثاني: أنهم جعلوا للمساجد نظيراً يقلل جمعها.

والثالث: أنهم أفاتوا أنفسهم نقل الخطى إلى المساجد.

والرابع: أنهم تشبهوا بالنصارى بانفرادهم في الآريرّة.

والخامس: أنهم تعذبوا وهم شباب وأكثرهم محتاج إلى النكاح.

والسادس: أنهم جعلوا لأنفسهم علماً ينطق بأنهم زهاد فيوجب ذلك زيارتهم والتبرك بهم.

وإن كان قصدهم غير صحيح فإنهم قد بنوا دكاكين للكوبة ومناخاً للبطالة وأعلاماً لإطهار الزهد ..

---

[1] المصدر نفسه والصفحة نفسها.

المطلب الرابع

-نتقد مسلك المتصوفة وتلبيس إبليس في الخروج عن الأموال والتجرد عنها، واللباس ومطاعمهم ومشاربهم.

﴿نتقد مسلك المتصوفة وتلبيس إبليس في الخروج عن الأموال والتجرد عنها، واللباس ومطاعمهم ومشاربهم﴾

ثم أفرد ابن الجوزي بابا (طويلا بعض الشيء) في ذكر إبليس على الصوفية في الخروج عن الأموال والتجرد عنها،[1] كان إبليس يلبس على أوائل الصوفية لصدقهم في الزهد فيريهم عيب المال ويخوفهم من شره فيتجردون من الأموال ويجلسون على بساط الفقر، وكانت مقاصدهم صالحة، وأفعالهم في ذلك خطأ لقلة العلم.

ويقول: والحارث المحاسبي- عندي أعذر من أبي حامد-الغزالي- لأن أبا حامد كان أفقه غير أن دخوله في التصوف أوجب عليه نصرة ما دخل فيه.

وقد رد ابن الجوزي هذا المنهج ورفضه قائلا:أما شرف المال فإن الله عز وجل عظم قدره وأمر بحفظه إذ جعله قواما للآدمي الشريف فهو شريف:[2] قال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾[3] ونهى عز وجل أن يسلم المال إلى غير رشيد: فقال:﴿فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾[4]وقد صح عن رسول الله ﷺ، أنه نهى عن إضاعة المال، وقال لسعد" أن تترك ورثتك أغنياء خير لك من أن تتركهم عالة يتكففون الناس"، وقال:" ما نفعني مال كمال أبي بكر"[5].

ثم قال" واعلم أن الفقر مرض فمن أبتلي به فصبر أثيب على صبره، ولهذا يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام لمكان صبرهم على البلاء، والمال نعمة والنعمة

---

(1) المصدر نفسه ص 172.

(2) المصدر نفسه ص 174.

(3) سورة النساء آية 5.

(4) سورة النساء آية 6.

(5) المصدر نفسه ص 174 .

تحتاج إلى شكر، والغني وإن تعب وخاطر كالمفتي والمجاهد، والفقير كالمعتزل في زاوية"[1] ثم أفرد ابن الجوزي بابا: في ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في لباسهم"[2] قال ابن الجوزي" لما سمع أوائل القوم أن النبي ﷺ كان يرقّع ثوبه، وأنه قال لعائشة رضي الله عنها" لا تخلعي ثوبا حتى ترقعيه"، وأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان في ثوبه رقاع، وأن أويسا القرني كان يلتقط الرقاع من المزابل فيغسلها في الفرات ثم يخيطها فيلبسها، اختاروا المرقعات، وقد أبعدوا في القياس فإن رسول الله ﷺلأجل أصحابه كانوا يؤثرون البذاذة ويعرضون عن الدنيا زهدا، وكان أكثرهم يفعل هذا لأجل الفقر، كما روينا عن مسلمة بن عبد الملك أنه دخل على عمر بن عبد العزيز وعليه قميص وسخ فقال لي لأمرأته فاطمة: اغسلي قميص أمير المؤمنين، فقالت والله ماله قميص غيره، فأما إذا لم يكن هذا لفقر، وقصد البذاذة فماله من معنى.[3] وينصف ابن الجوزي بعض الصوفية في تخصيصهم ثوبا للصلاة وثوبا للخلاء، أو من اقتصر على ثوب واحد زهدا في الدنيا فيقول: وهذا أحسن أي أنه إذا أمكن اتخاذ ثوب للجمعة والعيد كان أصلح وأحسن.[4]

ويفرد بابا: في ذكر تلبيس إبليس في مطامعهم ومشاربهم،[5] أي الصوفية قال فيه: كان في القوم من يبقى الأيام لا يأكل إلا أن تضعف قوته، وفيهم من يتناول كل يوم الشيء اليسير الذي لا يقيم البدن...، قد بلغ إبليس في تلبيس على قدماء الصوفية فأمرهم بتقليل المطعم وخشونته ومنهم من شرب الماء البارد، ويضيف بشيء من السخرية- فلما بلغ إلى المتأخرين استراح من التعب واشتغل بالتعجب من كثرة أكلهم ورفاهية عيشهم!،[6] ثم ذكر

---

(1) المصر نفسه ص 178.

(2) المصدر نفسه ص 183.

(3) المصدر نفسه ص 183.

(4) المصدر نفسه ص 202.

(5) المصدر نفسه ص 217.203.

(6) المصدر نفسه ص 203.

رحمه الله جملة أحاديث بين خطاهم في أفعالهم،[1] وتبين وسطية ورحمة الإسلام بالناس عامة ولمتبعيه خاصة فقال: عن أبي قلابة: أن عثمان بن مظعون اتخذ بيتا فقعد يتعبد فيه، فبلغ ذلك النبي ﷺ فأتاه فأخذ بعضادي باب البيت الذي هو فيه وقال: (يا عثمان إن الله عز وجل لم يبعثني بالرهبانية- مرتين أو ثلاثا وإن خير الدين عند الله الحنيفة السمحة.[2]

---

[1] المصدر نفسه ص 215.214.

[2] المصدر نفسه انظر جملة الأحاديث التي يقوي بعضها بعض ابن الجوزي، ص217.214.

المطلب الخامس

نقد ابن الجوزي مسلك المتصوفة وتلبيس إبليس في إدعاء التوكل وقطع الأسباب وترك الإحتراز في الأموال

﴿نقد مسلك المتصوفة وتلبيس إبليس في ترك التداوي وترك الجمعة والجماعة بالوحدة والعزلة﴾

ثم أفرد المؤلف، رحمه الله تعالى باباً في ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في ترك التداوي[1] فقال: لا يختلف العلماء أن التداوي مباح وإنما رأى بعضهم أن العزيمة تركه ..

والمقصود هنا أن نقول: إذا ثبت أن التداوي مباح بالإجماع مندوب إليه عند بعض العلماء فلا يلتفت قول قوم قد رأوا أن التداوي خارج التوكل لأن الإجماع على أنه لا يخرج من التوكل، وقد صح عن الرسول ﷺ أنه تداوى وأمر بالتداوي، ولم يخرج بذلك من التوكل ولا أخرج من أمره أن يتداوى من التوكل، وفي الصحيح من حديث عثمان بن عفان ﷺ "أن النبي ﷺ رخص إذا اشتكى المحرم عينه أن يضمدها بالصبر"[2].

ويفرد ابن الجوزي باباً في ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في ترك الجمعة والجماعة بالوحدة والعزلة، فيقول رحمه الله كان خيار السلف يؤثرون الوحدة والعزلة عن الناس اشتغالاً بالعلم والتعبد إلا أن عزله القوم لم تقطعهم عن جمعة ولا جماعة ولا عيادة مريض ولا شهود جنازة ولا قيام بحق، وإنما هي عزلة عن الشر وأهله ومخالطة البطالين.

وقد لبس إبليس على جماعة من المتصوفة فمنهم من اعتزل في جبل كالرهبان يبيت وحده ويصبح وحده ففاتته الجمعة وصلاة الجماعة ومخالطة أهل العلم وعمومهم اعتزل في الأربطة ففاتهم السعي إلى المساجد وتواطنوا على فراش الراحة وتركوا الكسب. [3]

وقال: وقد جاء النهي عن الإنفراد الموجب للبعد عن العلم والجهاد للعدو. [4]

---

[1] المصدر نفسه ص 281.282.

[2] المصدر نفسه ص 282.283.

[3] المصدر نفسه ص 283.

[4] المصدر نفسه ص 284.

المطلب السابع

نقد مسلك المتصوفة وتلبيس إبليس في التخشع ومطأطأة الرأس وترك النكاح

نقد مسلك المتصوفة وتلبيس إبليس في التخشع ومطأطأة الرأس وترك النكاح

وأفرد مسلك ابن الجوزي بابا في ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في التخشع ومطأطأة الرأس وإقامة الناموس فقال: إذا سكن الخوف القلب أوجب خشوع الظاهر ولا يملك صاحبه دفعه فتراه مطرقا متذللا، وقد كانوا يجتهدون في سترما يظهر منهم من ذلك وكان محمد بن سيرين يضحك بالنهار ويبكي بالليل، ولسنا نأمر العالم بالانبساط بين العوام فإن ذلك يؤذيهم.[1]

ويفرد ابن الجوزي بابا: في ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في ترك النكاح[2].

فقال: النكاح مع خوف العنت واجب ومن غير خوف العنت سنة مؤكدة عند جمهور الفقهاء ومذهب أبي حنيفة وأحمد ابن حنبل أنه حينئذ أفضل من جميع النوافل لأنه سبب في وجود الولد، قال عليه الصلاة والسلام: " تناكحوا تناسلوا"وقال ﷺ" النكاح من سنتي فمن رغب عن سنتي فليس مني"[3].

ثم أفرد رحمه الله بابا: في نقد مسالك الصوفية في تركهم النكاح[4].

فقال رحمه الله: وقد لبس إبليس على كثير من الصوفية فمنعهم من النكاح فقد ماؤهم تركوا ذلك تشاغلا بالتعبد، ورأوا النكاح شاغل عن طاعة الله عز وجل، وهؤلاء وإن كانت بهم نوع تشوق إليه فقد خاطروا بأبدانهم، وإن لم يكن بهم حاجة إليه فاتتهم الفضيلة.

---

(1) المصدر نفسه ص285.

(2) المصدر نفسه ص 287.

(3) المصدر نفسه ص 288.

(4) المصدر نفسه ص 290.

ثم أفرد – باباً في محاذير ترك النكاح، وقال واعلم أنه إذا دام ترك النكاح على شباب الصوفية أخرجهم إلى ثلاثة أنواع.

النوع الأول: المريض يحبس الماء.

النوع الثاني: الفرار إلى المتروك.

النوع الثالث: الانصراف إلى صحبة الصبيان[1].

[1] ابن الجوزي: تلبيس إبليس ص 292.

المطلب الثامن

نقد مسلك المتصوفة وتلبيس إبليس في الأسفار والسياحة

نقد مسلك المتصوفة وتلبيس إبليس في الأسفار والسياحة

ثم أفرد ابن الجوزي: رحمه الله بابا في ذكر تلبيس على الصوفية في الأسفار والسياحة،[1] فقال قد لبس إبليس على خلق كثير منهم فأخرجهم إلى السياحة لا إلى مكان معروف ولا إلى طلب علم، وأكثرهم يخرج إلى الوحدة ولا يستصحب زادا، ويدعي بذلك الفعل التوكل فكم تفوته من فضيلة وفريضة وهو يرى أنه في ذلك على طاعة وأنه يقرب بذلك من الولاية وهو من العصاة المخالفين لسنة رسول الله ﷺ! وأما السياحة والخروج لا إلى مكان مقصود فقد نهى رسول الله ﷺعن السعي في الأرض غير أرب حاجة، ثم أورد ابن الجوزي عدة أحاديث تنهى على السياحة لا لعلم أو لجهاد أو فريضة، ومنها حديث حسن (إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله) .

ثم أفرد رحمه الله: بابا في نقد مسالك الصوفية في السياحة،[2] فقال: وأما الخروج على الوحدة فقد نهى رسول الله ﷺ أن يسافر الرجل وحدة كما نهى عن المشي بالليل وحيدا،[3].

وأفرد بابا في تلبيسه عليهم في دخول الفلاة[4] بغير زاد، وقد بينا فساد هذا...، إلا أنه شاع هذا في جهلة القوم وجاء حمقى القصاص يحكـون ذلك عنهم على سبيل المدح لهم[5] وقال رحمه الله– قال رجل لأبي عبد الله بن الجلاء، ما تقول في الرجل يدخل البادية بلا زاد قال هذا من فعل رجال الله، قال فأن مات، قال: الدية على القاتل. قال ابن الجوزي: هذه فتوى جاهل بحكم الشرع إذ لا خلاف بين فقهاء الإسلام أنه لا يجوز دخول البادية بغير

---

(1) المصدر نفسه ص 293.

(2) المصدر نفسه ص 293.

(3) المصدر نفسه ص 295.

(4) المصدر نفسه 295.

(5) نفس المصدر 296.

زاد، وأن من فعل ذلك فمات بالجوع فإنه عاصٍ لله تعالى مستحق لدخول النار، وكذلك إذا تعرض بما غالبه العطب، فإن الله جعل النفوس وديعة عندنا فقال﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾[1].

وأفرد رحمه الله بابا في ذكر تلبيس إبليس على الصوفية إذا قدموا من السفر[2] فقال: من مذهب القوم أن المسافر إذا أقدم فدخل الرباط وفيه جماعة لم يسلم عليهم حتى يدخل الميضأة، فإذا توضأ جاء وصلى ركعتين ثم سلم على الشيخ ثم سلم على الجماعة، وهذا ما ابتدعه متأخرهم على خلاف الشريعة، لأن فقهاء الإسلام أجمعوا على أن من دخل على قوم سن له أن يسلم عليهم سواء كان على طهارة أو لم يكن[3].

---

(1) المصدر نفسه ص 297 سورة النساء آية 29.

(2) المصدر نفسه ص 312 .

(3) نفس المصدر ونفس الصفحة .

المطلب التاسع

نقد مسلك المتصوفة وتلبيس إبليس إذا مات لهم ميت، وترك التشاغل بالعلم وزهدهم فيه

نقد مسلك المتصوفة وتلبيس إبليس إذا مات لهم ميت، وترك التشاغل بالعلم وزهدهم فيه

ثم أفرد ابن الجوزي باباً في ذكر تلبيس إبليس على الصوفية إذا مات لهم ميت[1]

له في ذلك تلبيسان، الأول: أنهم يقولون لا يبكي على هالك، ومن بكى على هالك خرج عن طريق أهل المعارف، قال ابن عقيل: وهذه دعوى تزيد على الشرع، فهي حديث خرافة وتخرج عن العادات والطباع، فهي انحراف عن المزاج المعتدل، فينبغي أن يطالب لها بالعلاج بالأدوية المعدلة للمزاج، فإن الله تعالى أخبر عن نبي كريم فقال: ﴿وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ﴾[2] والتلبيس الثاني: أنهم يعملون عند موت الميت دعوة ويسمونها عرساً ويغنون فيها ويرقصون ويلعبون ويقولون نفرح للميت إن وصل إلى ربه.[3]

ثم أفرد باباً: في ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في ترك التشاغل بالعلم[4].

قال ابن الجوزي: رحمه الله: أعلم أن أول تلبيس إبليس على الناس صدهم عن العلم، لأن العلم نور فإذا أطفأ مصابيحهم خَبطهم في الظلم كيف شاء، وقد دخل على الصوفية في هذا الفن من أحدها: أنه منع جمهورهم من العلم أصلاً وأراهم أنه يحتاج إلى تعب وكلف فحسّن عندهم الراحة فلبسوا المراقع وجلسوا على بساطة البطالة، ويورد كلاماً للشافعي يقول فيه، أسس التصوف على الكسل، والثاني: أنه قنع قوم منهم باليسير منه ففاتهم الفضل الكثير في كثرته، فاقتنعوا بأطراف الأحاديث وأوهمهم أن علوا الإسناد والجلوس للحديث كله رياسة ودنيا وأن للنفس في ذلك لذة والثالث: أنه أوهم قوماً منهم أن المقصود العمل، وما

---

[1] المصدر نفسه ص 313.

[2] سورة يوسف آية 84.

[3] المصدر نفسه ص 314.

[4] المصدر نفسه ص 315.

فهموا أن التشاغل بالعلم من أوفى الأعمال، ثم إن العالم وإن قصر السير عمله فإنه على الجادة، والعابد بغير علم على غير الطريق.

والرابع أنه أري خلقاً كثيراً منهم أن العالم ما اكتسب من البواطن حتى إن أحدهم يتخايل له وسوسة فيقول حدثني قلبي عن ربي وكان الشبلي يقول إذا طالبوني بعلم الورق برزت عليهم بعلم الخرق وقد سموا علم الشريعة علم الظاهر وسموا هواجس النفوس العلم الباطن.[1]

وأفرد ابن الجوزي- رحمه الله تعالى- باباً في نقد مسالك الصوفية في تركهم الاشتغال بالعلم [2]وقال: وقد فرق كثير من الصوفية بين الشريعة والحقيقة وهذا جهل من قائله لأن الشريعة كلها حقائق، فإن كانوا يريدون بذلك الرخصة والعزيمة فكلاهما شريعة، وقد أنكر عليهم جماعة من قدمائهم في إعراضهم عن ظواهر الشرع، فعن سهل بن عبد الله: أنه قال: احفظوا السواد على البياض فما أحد ترك الظاهر إلا تزندق، وعن أبي بكر الدقاق قال: سمعت أبا سعيد الخراز يقول: كل باطن يخالف ظاهراً فهو باطل.

وقد قال أبو حامد الغزالي- رحمه الله تعالى-في كتابه إحياء علوم الدين من قال: إن الحقيقة تخالف الشريعة، أو الباطن يخالف الظاهر فهو إلى الكفر أقرب منه إلى الإيمان، وقال ابن عقيل: كل من رام الحقيقة في غير الشريعة فمغرورٌ مخدوع.

ثم أفرد ابن الجوزي: باباً في ذكر تلبيس إبليس على جماعة من القوم في دفنهم كتب العلم وإلقائها في الماء[3] فقال: قد كان جماعة منهم تشاغلوا بكتابة العلم، ثم لبس عليهم إبليس عليه اللعنة وقال: ما المقصود إلا العمل ودفنوا كتبهم.

---

[1] المصدر نفسه ص 315.

[2] المصدر نفسه ص 319،

[3] المصدر نفسه ص 319.

ويرى ابن الجوزي أن هذا مخالف لشريعة الإسلام ولسنة النبي العدنان، وقد قال ﷺ: عن عبد الله بن عمر: "قيدوا العلم" فقلت يا رسول الله وما تقيده؟ قال: الكتابة وعن رافع بن خديج قال: قلنا يا رسول الله: إن نسمع منك أشياء أفنكتبها؟ قال ﷺ" اكتبوا ولا حرج"[1].

ثم أفرد ابن الجوزي: باباً في ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في انكارهم من تشاغل بالعلم[2] فقال رحمه الله تعالى: لما أنقسم هؤلاء بين متكاسل عن طلب العلم وبين ضان أن العلم هو ما يقع في النفوس من ثمرات التعبد وسموا ذلك العلم: العلم الباطن، نهوا عن التشاغل بالعلم الظاهر ويروى عن ذلك قصص مختلفة عن الصوفية، خلاصتها هذه العبارة: ويحك تدع علم الخرق وتأخذ علم الورق وقد كان الإمام أحمد رحمه الله تعالى، يرى المحابر بأيدي طلبة العلم فيقول: هذه سرج الإسلام، وكان يحمل المحبرة على كبر سنه.

فقال له رجل: إلى متى يا أبا عبد الله؟ فقال: المحبرة إلى المقبرة، وقال في قوله:ﷺ"لا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة" .

فقال الإمام أحمد والبخاري وعلي ابن المديني إن لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أدري من هم، ثم أفرد المؤلف –رحمه الله– باباً ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في كلامهم في العلم.[3]

فقال: أعلم أن هؤلاء القوم لما تركوا العلم وانفردوا بالرياضيات على مقتضى أرائهم لم يصبروا على الكلام في العلوم فتكلموا بواقعاتهم فوقعت الأغاليط القبيحة منهم، فتارة يتكلمون في تفسير القرآن، وتارة في الحديث وتارة في الفقه وغير ذلك، ويسوقون العلوم إلى مقتضى علمهم الذي انفردوا به، والله سبحانه وتعالى لا يُخلي الزمان من أقوام قوامين.

---

(1) المصدر نفسه ص 321.

(2) المصدر نفسه ص 323. 325.

(3) ابن الجوزي تلبيس إبليس ص325.

بشرعه يردون على المتخرصين ويبينون غلط الغالطين ثم ذكر نبذة من كلامهم في القرآن[1] من مثل: سمعت جعفر ابن محمد الخلدي قال حضرت شيخنا الجنيد وقد سأله ابن كيسان عن قوله عز جل: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ﴾[2] فقال الجنيد لا تنسى العمل به، وسأله عن قوله تعالى: ﴿وَدَرَسُوا مَا فِيهِ﴾[3] فقال الجنيد: تركوا العمل به فقال لا يفضض الله فاك، فقال رحمه الله لا تنسى العمل به فتفسير لا وجه له والغلط فيه ظاهر لأنه فسره على أنه نهي وليس كذلك إنما هو خبر لا نهي وتقديره فما تنسى إذ لو كان نهيا كان مجزوماً فتفسيره على خلاف إجماع العلماء.[4]

---

[1] المصدر نفسه ص 325.

[2] سورة الأعلى آية 6.

[3] سورة الأعرف آية169.

[4] ابن الجوزي تلبيس إبليس، ص335.

المطلب العاشر

نقد مسالك المتصوفة وتلبيس إبليس في الشطح والدعاوي ونقد الملامتية

نقد مسالك المتصوفة وتلبيس إبليس في الشطح والدعاوي ونقد الملامتية

ثم أفرد رحمه الله باباً في ذكر تلبيس إبليس في الشطح والدعاوي فقال أعلم أن العلم يورث الخوف واحتقار النفس وطول الصمت، وإذا اعتبرت علماء السلف رأيت الخوف غالباً عليهم والدعاوي بعيدة عنهم، كما قال أبو بكر ليتني كنت شعرة في صدر مؤمن، وقال عمر عند موته: الويل لعمر إن لم يغفر له وقال ابن مسعود: ليتني أذا مت لا أبعث، وقالت عائشة رضي الله عنها: ليتني كنت نسياً منسياً، وقال سفيان الثوري لحماد بن سلمة عند الموت: ترجوا أن يغفر لمثلي، وإنما صدر مثل هذا عن هؤلاء السادة لقوة علمهم بالله، وقوة العلم به تورث الخوف والخشية قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا﴾[1] وقال ﷺ: "أنا أعرفكم بالله وأشدكم له خشية" ولما بعد عن العلم أقوام من الصوفية لاحظوا أعمالهم واتفق لبعضهم من اللطف ما يشبه الكرامات فانبسطوا بالدعاوى، ثم يبسط جملة من الروايات الصوفية ويرد عليها، بالكتاب والسنة، من مثل: وقد حكى أبو حامد الغزالي أن الشبلي أخذ خمسين ديناراً فرماها في دجلة وقال: ما أعزك أحد إلا أذله الله، فيقول ابن الجوزي : وأن أتعجب من أبي حامد أكثر من تعجبي من الشبلي لأنه ذكر ذلك على وجه المدح لا على وجه الإنكار، فأين أثر الفقه![2] وعن أبي عبد الله بن مفلح يقول: كان عندنا فقير صوفي في الجامع فجاع مرة جوعاً شديداً، فقال يا رب إما تطعمني وإما أن ترميني شرق المسجد، فجاء غراب فجلس على الشرف، فوقعت عليه من تحت رجله أجره فجرى دمه وكان يمسح الدم ويقول: إيش تبالي بقتل العالم؟! فقال ابن الجوزي معلقاً قتل الله هذا ولا أحياه الله في مقابلته هذا الاستنباط، هل قام إلى الكسب أو إلى الكدية.[3]

---

[1] سورة فاطر : الآية 28.

[2] ابن الجوزي تلبيس إبليس، ص 354

[3] المصدر نفسه ص 355.

ويعقد ابن الجوزي باباً قصيراً في رأي بعض رجال الصوفية في الملامتية[1] فقال: وفي الصوفية قوم يسمون الملامتية اقتحموا الذنوب، وقالوا: مقصودنا أن نسقط من أعين الناس فنسلم من الجاه وهؤلاء قد اسقطوا جاههم عند الله لمخالفة الشرع، قال: وفي القوم طائفة يظهرون من أنفسهم أقبح ما هم فيه ويكتمون أحسن ما هم عليه وفعلهم هذا من أقبح الأشياء، ولقد قال رسول الله ﷺ من أتى شيئاً من هذه القاذورات فليستتر بستر الله" وقال في حق ماعز: هلاّ سترته بثوبك ياهذا" واجتاز على رسول الله ﷺ بعض الصحابة وهو يتكلم مع صفية فقال لهم "إنها صفية"[2].

---

[1] المصدر نفسه ص 356.

[2] المصدر نفسه ص 356.

المطلب الحادي عشر

نقد مسلك المتصوفة وتلبيس إبليس من اندس في الصوفية من أهل الإباحة

نقد مسلك المتصوفة وتلبيس إبليس من اندس في الصوفية من أهل الإباحة

ثم أفرد باباً في من اندس في الصوفية من أهل الإباحة[1]" فقال: وقد اندس في الصوفية أهل الإباحة، فتشبهوا بهم حفظاً لدمائهم وهم ينقسمون إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول: كفار فمنهم: قوم لا يقرون بالله سبحانه وتعالى ومنهم من يقر به ولكن يجحد النبوة ويرى أن ما جاء به الأنبياء محال، وهؤلاء لما أرادوا امراح أنفسهم في شهواتها ويستترون به وينالون أغراض النفوس كمذهب التصوف فدخلوا فيه ظاهراً وهم في الباطن كفرة؛ وليس لهؤلاء إلا السيف لعنهم الله؛ ومن ليس منهم وتسمى بأسمائهم وصدر عنهم مثل ما قد حكينا، وكان الصلاح منه نادراً ذمهم خلق من العلماء وعابوهم من مشائخهم، وانشد الشافعي، رحمه الله.

ودع الذين إذا أتوك تنسكوا وإذا خلوا كانوا ذئاب حقاف

فالله الله في الإصغاء إلى هؤلاء الفرغ الخالين من الإثبات، وإنما هم زنادقة جمعوا بين مدارع العمل مرقعات وصوفاً، وبين أعمال الخلعاء الملحدة أكلاً وشرباً ورقصاً وسماعاً وإهمالاً لأحكام الشرع، ولم تتجاسر الزنادقة أن ترفض الشريعة حتى جاءت الصوفية فجاؤوا بوضع أهل الخلاعة، فأول وضعوا أسماء وقالوا حقيقة وشريعة، وهذا قبيح لأن الشريعة ما وضعه الحق لمصالح الخلق، في الحقيقة بعدها سوى ما وقع في النفوس من إلقاء الشياطين وكل من رام الحقيقة في غير الشريعة فمغرور ومخدوع، وإن سمعوا أحداً يروي حديثاً قالوا: مساكين أخذوا علمهم ميتاً عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت فمن قال حدثني أبي عن جدي قلت حدثني قلبي عن ربي؟!، فهلكوا وأهلكوا بهذه الخرافات قلوب الأغمار وأنفقت عليهم لأجلها الأموال[2].

---

[1] المصدر نفسه ص 263.257.

[2] ابن الجوزي تلبيس إبليس، ص 366.365.

المبحث الأول

بعض القصائد الشعرية في ذم الصوفية

بعض القصائد الشعرية في ذم الصوفية

ويروي ابن الجوزي بعض القصائد الشعرية في ذم الصوفية من مثل: قصيدة أبو بكر العنبري.

تأملت اختبر المدعين　　بين الموالي وبين العبيد

فألفيت أكثرهم كالسراب　　يروقك منظره من بعيد[1]

ومن مثل قصيد احسن بن علي بن سيار:

رأينا قوماً عليهم سمة الخير　　بحمل الركاء مبتهلة

اعتزلوا الناس في جوامعهم　　سألت عنهم فقيل متكلة

فقل لمن مال باختداهم　　إليهم وتبْ فإنهم بطلة

واستغفر الله من كلامهم　　ولا تعاود لعشرة الجهلة

قال: قال الصوري أنشدني بعض شيوخنا:

أهل التصوف قد مضوا　　صار التصوف مخرفة

صار التصوف صَيّحةٌ　　وتواجدٌ ومطبقة

ويختم ابن الجوزي حديثه عن الصوفية بهذين البيتين لأبي إسحاق الشيرازي الفقيه منشداً لغيره:

أرى جيل التصوف شر جيل　　فقل لهم وأهون بالحلول

أقال الله حين عشقتموه　　كلوا أكل البهائم وأرقصوا لي

---

[1] المصدر نفسه ص367.

المبحث الثاني

مميزات كتاب تلبيس إبليس لابن الجوزي وأهم الملاحظات على الكتاب

مميزات كتاب تلبيس إبليس لابن الجوزي وأهم الملاحظات على الكتاب

أهم مميزات كتاب تلبيس إبليس لابن الجوزي:[1]

لاشك أن ابن الجوزي" 510هـ" سلفي ينتمي إلى التيار السلفي في الثقافة الإسلامية: وهم الذين يأخذون بالمأثور ويؤثرون الراوية على الدراية، والنقل على العقل، ويسمون أهل السنة والجماعة، لأنهم يرون مسلكهم الأصل وما عداه خروج عليه، وكان المسلمون في الصدر الأول سلفيين جميعاً: لا يأخذون في الأصول والفروع إلا بما ورد في الكتاب والسنة، آمنوا بالله من غير بحث ولا جدل، وفهموا الآيات القرآنية فهماً مجملاً على حسب ظاهرها، فهم لا يؤولون ولا يشبهون بل يتنزهون ويفوضون. سئل ربيعة الرأي (135. 753) عن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[2].

كيف استوى فقال: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول، ومن الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التصديق...)[3].

وبما أنه كذلك فقد محص ونقد وراجع بل وأرخ لبعض صور الحياة الثقافية التي كان يموج بها عصره في عصر ضعفت فيها سلطة الخلافة العباسية- القرن الحادي عشر ميلادي ودبت أمراض الحضارة في كيان وجسم الدولة الإسلامية، وتفرق فيها المسلمون شيعاً وأحزاباً، واكتسح الوافد الأجنبي- الحياة الثقافية الإسلامية بل عسكرياً أيضاً، المغول، والحملات الصليبية، فكان ابن الجوزي يغربل تلك الآراء والأفكار والتيارات بميزان الكتاب والسنة وينقدها بمنهج أهل السلف الصالح والحق أن الرجل كان موضوعياً في أغلب ما كتب، وحاشاه أن يكذب وهو الرجل الفقيه المحدث وإن اتسم نقدهُ أحياناً بالعنف والقسوة غيرة لدين الله وخوفاً على الأمة المحمدية أن تزيغ بعد أن هداها الله بنور الإسلام، وكان نقدهُ

---

[1] ابن الجوزي تلبيس إبليس ص 369.

[2] سورة طه آية 5.

[3] إبراهيم مذكور في الفلسفة ومنهج وتطبيقه دار المعارف ج 2. 1977،ص 31.30

شاملاً لأغلب تيارات عصره الفكرية، فشمل نقدهُ السلفي- العلماء والولاة والسلاطين- الفلاسفة العباد والزهاد وخصّص ثلثي الكتاب لنقد السادة الصوفية أكثر من 200 صفحة كما امتد نقدهُ للمتدينين مدعي الكرامات والعوام، وأخيراً شمل الكل محذراً من تلبيس إبليس. أهم الملاحظات على الكتاب.

أ- الكتاب صورة حيّة لبعض ما كان يموج به من تيارات فكرية في عصر ابن الجوزي.

ب- تتجلى فيه شخصية ابن الجوزي السلفية الموسعي الثقافة.

ج- النزعة النقدية.

د- الشمول والإحاطة.

هـ- اتسم بالنقد العنيف أحياناً والشدة.

و- ويبقى الكمال لله وحده فقد وقع أحياناً في التحامل على خصومه وتعميم الأحكام أحياناً أخرى[1] وأخيراً نلاحظ بخصوص موضوع نقده لمسالك الصوفية أن ابن الجوزي لا ينكر طريق التصوف في ذاته الملتزم بالكتاب والسنة وهو صاحب كتاب "صفوة الصفوة" أربعة أجزاء" يترجم فيه لكبار الصوفية ويذكر أقوالهم ويحكي أحوالهم، وهو عين ما فعله في كتاب "تلبيس إبليس" الذي تميز فيه بنقده الشديد لبعض تصرفاتهم إلا أنه يعتبر تأريخاً لعلم التصوف، في الوقت نفسه.

---

[1] انظر حسن الشافعي وعبدالحميد مذكور، دراسات في التصرف الإسلامي دار الهاني، ط 2007م، ص 221.

المبحث الثالث

منهج ابن الجوزي في التصوف السليم وتقويم مناهج المتصوفة

منهج ابن الجوزي في التصوف السليم وتقويم مناهج المتصوفة

وقد تميز منهجه السلفي بالآتي:

– الدعوة للتمسك بالكتاب والسنة ولزوم الجماعة[1].

– التحذير من البدع والمبتدعين، ولزوم طريقة السلف الصالح، الصحابة والتابعون، وتابعي التابعين، والأئمة المجتهدين، وأصحاب المذهب الإسلامية كأبي حنيفة ومالك وأحمد الشافعي، والعلماء الربانيون والصوفية الملتزمين بالكتاب والسنة دون تحريف وابتداع، بل بتفويض وإتباع، وكان أغلب نقده انصب على تيار التصوف وذلك لسببين.

أ– خلفيته السلفية.

ب– كثرة الأخطاء التي وقع فيها بعض منتسبي التصوف في الاعتقاد والسلوك، مما يبعدهم عن الإسلام الوسطي الصحيح، دون تفريط أو إفراط، أو تقصير وغلو.

وإن جاء– ابن الجوزي– في عصر هدأت فيها تلك المعركة التي درات بين الفقهاء والصوفية، هذا يدعي إنهم أصحاب رسوم وشعائر دون روح وذلك يتهم الصوفية بالجهل والشطح والانحراف والبدع" فإن الغزالي (ت505هـ) الذي أتى بعد القشري بنحو نصف قرن قد أخذ على عاتقه مهمة التوفيق بين التصوف وتعاليم الدين، أو بين الحقيقة والشريعة، وأقام من الدين أساساً للتصوف، فمزج عناصر التصوف مزجاً تاماً بعناصر من القرآن والسنة ورفع بذلك من قيمة التصوف حتى في نظر أعدائه، وقد جاءت تأليف الغزالي في هذا الميدان نتيجة رغبة صادقة في تحصيل حياة روحية ثم لغيره ممّن يتوقون إلى طمأنينة النفس بإيصالها إلى الحقيقة ثانياً، فإن الغزالي حاول أن يحل مشكلته الروحية أولاً، ولكنه خلف لنا تراث المعلم الروحي الذي يرشد السالكين إلى حل مشكلاتهم الروحية أيضاً ...."[2]

---

[1] انظر: ابن الجوزي، تلبيس إبليس، ص9 الباب الأول، الأمر بلزوم الكتاب والسنة.

[2] انظر: أبو العلاء عفيفي التصوف الثورة في الإسلام، دار المعارف ط1، 1963م.

فالحقيقة في نظر الغزالي لا تتنافى مع الشريعة فكما قال في الأحياء: "الشريعة أن تعبده والحقيقة أن تشهده" والشريعة قيام بما أمر والحقيقة شهود لما قدر وأخفى وأظهر "فكان الحقيقة في نظر الغزالي تأييد- عن طريق الشهود لما ورد في ظاهر الشرع"[1].

وابن الجوزي يعلم مقام أبو حامد الغزالي وقدره في العلوم النقلية والشرعية، لذا كان يجله ويدافع عنه في بعض المواطن: كقوله" وجاء أبو حامد الغزالي، فصنف لهم كتاب الإحياء".

على طريقة القوم ملأه بالأحاديث الباطلة-"وهو لا يعلم ببطلانها".

بل نراه يردد بعض أقواله في نقده للفلاسفة القائلين بقدم العالم مثلا وعلم الله بالكليات دون الجزئيات[2].

مما يغلب الظن أنه اطلع على كتاب تهافت الفلاسفة للغزالي، مما يعزز موقف ابن تيمية فيما بعد في نزعته النقدية- للكلاميين والفلاسفة فيأخذ ببعض أقوال ابن الجوزي وابن عقيل الحنبلي السلفي، وهما من نفس الاتجاه بل أكبر ممثلي التيار السلفي.

---

[1] المرجع نفسه ص 121.

[2] المرجع نفسه ص 121.

الخاتمة

أهم نتائج البحث:

أ- الكتاب: تلبيس إبليس – دعوة قوية لتنقية التصوف من بعض ما علق به من شوائب، ودعوة المسلمين للعودة إلى أصول دينهم النقية الصافية دون إفراط أو تفريط .

ب- التصدي لكل الانحرافات العقائدية والفكرية والعملية السلوكية والتي تخالف منهج السلف الصالح .

ج- الدعوة للتعليم والتفقه في دين الله من أهم الأسباب لإصلاح شأن الأمة الإسلامية الدنيوية والأخروية،فإن أكثر أخطاء الخلق ناشئة من إطفاء مصباح العلم لديهم.

د-الدعوة للتمسك بمنهج السلف الصالح هذا المنهج الذي يتمشى مع الفطرة السوية ومع عوام الناس وغالبيتهم، فهو بسيط بساطة العقيدة الإسلامية وعمقها في نفس الوقت لا جدل فيه، ولا كلام ولا فلسفة، منهج الإتباع لا الإبتداع، ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1].

هـ- النقد الذاتي من أهم أسلحة الأمة وهي لا تمارسه إلا في مرحلة النضج، وإن كان ابن الجوزي نقد الصوفية، إلا أن الصوفية ذاتهم قد سبقوا ابن الجوزي بالنقد الذاتي لمدرسة الصوفية من خلال مصنفاتهم، وتناول نقدهم الأصول (أي العقائد) الفروع (لأعمال)، ومرحلة النقد هذه- النضج- هو أن يتجاوز المرء ذاته ويتعلم من أخطائه ويدل على مدى ما وصل إليه التصوف من تطور ونضج .[2]

---

[1] سورة الروم: الآية 30.

[2] انظر : حسن الشافعي وعبد الحميد مذكور ، دراسات في التصوف الإسلامي، ص252.236

و- هذا النقد لا يمنع من أن مدرسة التصوف من أهم المدارس الإسلامية في تخريج الدعاة والأولياء والمجاهدين في سبيل الله والعلماء والربانيون، منذ نشأته وحتى الآن،فبالتصوف يتسامى الإنسان عن الشواغل الأرضية المادية الآنية وتزكوا نفسه وتصفوا روحه حتى قال بعض العلماء إن المؤمن الطائع خير من الملائكة المعصومون، وإن حدث العكس هبط إلى أسفل الدركات، وذلك قول الله تعالى في سورة التين :

﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾ ﴾[1].

ز- كتاب تلبيس إبليس من أهم الكتب التراثية الإسلامية التي صورت بعضاً من جوانب الحياة الثقافية للمسلمين في عصره - والتي حاولت تنقية العقيدة وأرخت لعلم التصوف في الإسلام .

---

[1] سورة التين: آية 1-6.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولاً: قائمة المصادر

1. أبوالفرج الجوزي: تلبيس إبليس: دار البيان العربي: تحقيق محمد محمد تامر، ط2004 – القاهرة.

ثانياً: قائمة المراجع:

1. تاج الدين السبكي الشافعي: معيد النعم ومبيد النقم: تقديم عبدالحميد الهنداوي، تحقيق محمد فتحي النادي: دار العلياء، ط1، 2008.
2. جلال الدين السيوطي: صون المنطق والكلام عن فني المنطق والكلام، تحقيق: علي سامي النشار سعاد علي عبدالرزاق، دار النصر 1970، القاهرة.
3. حسن الشافعي وعبدالحميد مدكور، دراسات في التصوف الإسلامي، دار الهاني: ط 2007م.
4. إبراهيم مدكور، في الفلسفة الإسلامية، منهج وتطبيقه، دار المعارف ج2، 1977م.
5. أبو العلا عفيفي: التصوف الثورة في الإسلام، دار المعارف، ط1، 1963م، القاهرة.
6. عمر الرضا كحالة: معجم المؤلفين (تراجم مصنفي الكتب العربية)، مؤسسة الرسالة: ج2، ط1، 1993م، بيروت.
7. محمود قاسم: مقدمة في نقد مدارس علم الكلام: ضمن: كتاب: مناهج الأدلة لابن رشد: الأنجلو المصرية، ط2، 1964م، القاهرة.

وقد أستأنس الباحث بالاطلاع على الآتي:

1. أبو حامد الغزالي، ميزان العمل، تحقيق: سليمان دنيا، المعارف، ط2، 2003م القاهرة.

2. عبدالحليم محمود، التفكير الفلسفي في الإسلام، الدار المصرية، ج2، ط4، 1977، القاهرة.
3. عبدالمجيد مدكور، في الفلسفة الإسلامية، مقدمات وقضايا، دار الثقافة، ط2000م، القاهرة.
4. عبدالرحمن بدوي، شطحات الصوفية، مكتبة النهضة المصرية، ط، 1949م، القاهرة.
5. عبدالرحمن بدوي، شهيدة العشق الإلهي، مكتبة النهضة المصرية، د، ت، القاهرة.
6. عبدالرحمن بدوي، ملحق موسوعة الفلسفة العربية للدراسات والنشر، ط1996م، بيروت، التصوف الإسلامي 46-74.
7. عبداللطيف محمد العبد، التصوف في الإسلام، وأهم الاعتراضات الواردة عليه العبد سنتر، ط3، 2000م، القاهرة.

الباحث

وبالله التوفيق